

كشَفَ أنواعَ الجهلِ فِيما قِيلَ في نصرَةِ السِّدِّالِ

لأبي الفضل

عبد الله بن محمد بن الصديق
عفا الله عنه

السِّدْلُ بدعةٌ قبيحٌ لا صلاحَ به
وليسَ فيه سِوَى الإعراضِ عن سننِ
والقبضِ جاؤا به الأخبارُ ثابِتَةٌ
تفيدُ شرعته من غيرِ ما وهنَ
وفيه معنى خستوع العبدِ ما نَجَّاهُ
يرجو به فيضَ ربِّ واحبَّ المسكينِ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الاكرمين ، ورضي الله عن صحابته والتابعين .

وبعد فان المغاربة المتأخرين ، مثل السيد محمد القادري والسيد المهدي الوزاني والشيخ محمد الغفر الشنقيطي ، تعصبوا للسدل في الصلاة ، وأفرطوا في التعصب له ، حتى قال بعضهم : ان القبض قيل بحرمة ، والسدل لم يقل احد بحرمة ، وتبعهم كثير من الجهلة الاغمار ، ممن لا يميزون بين القاع والدار ، ولا بين النافع والضار ، حتى ان احدى الطوائف طلبت من امام يصلي بهم : أن يسدل في صلاته ، فلم يقبل ، فأبعدوه عن الامامة بهم .

وليس تعصبهم مبنيا على دليل أو شبهة ، بل على عدة دعاوى ليس لها ما يسندها ، وهم لجهلهم بعلم الاصول وقواعد الاستدلال ، ظنوها أدلة قاطعة للخصام ، تلزم معارضتها بالمي والاحجام .

فكتبت هذا الجزء الذي سميته «كشف انواع الجهل فيما قيل في نصره السدل» .

ذكرت فيه دعاواهم واحدة واحدة ، وأتبع كل دعوى بما يبطلها من قواعد علم الاصول والحديث ، وبدأت بذكر حديث في السدل لم يذكره ، وبينت ما فيه ؟ ، ولئن كان تعصبهم لراي لا دليل له ، وهو تعصب مذموم ، فان تعصبى بحمد الله للسنة النبوية المتواترة ، وهو تعصب محمود مثاب عليه بفضل الله ، والفرق بين موقفي وموقفهم ، هو الفرق بين الحق والباطل ، وبين السنة والبدعة ، فنحن مع الحق والسنة ، وهم على الباطل والبدعة .

وحسبكم هذا التفاوت بيننا
وكل اناء بالذى فيه يرشح

وأبدأ مستعينا بحول الله وقوته فأقول :
(حديث في السدل موضوع) .

روى الطبراني عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان اذا كبر في صلاته رفع يديه قبال أذنيه فاذا كبر ارسلهما ثم سكنت ، وربما رأيت يده يمينه على يساره ، في سند هذا الحديث : الخصيب بن جندر ، كذبه شعبة والقطان وابن معين والبخاري والنسائي وابن الجارود وغيرهم ، فالحديث موضوع ، لا يجوز العمل به .

ذكر الدعاء الأولى والثانية

حديث أبى حميد الساعدي في صلاة النبي صلى

الله عليه وسلم لم يذكر القبض ، فهو دليل على السدل
وكل حديث لم يذكر القبض في صفة الصلاة ، يدل على

وهاتان الدعويان باطلتان جدا ، لامور :

الاول

أن عدم ذكر القبض لا يدل على عدم وجوده في الصلاة ،
لما تقرر أن عدم ذكر الشيء لا يدل على عدم وجوده .

الثاني

أن السدل لم يذكر في الحديث ايضا ، فكيف يكون
الحديث دليلا عليه ، وهو لم يذكره ؟!

الثالث

حاصل هاتين الدعويين ، يرجع الى تناقض واضح ،
لو عقلوا ، لان عدم ذكر القبض دليل عندهم على عدم
مشروعيته ، وعدم ذكر السدل دليل على مشروعيته !!!
هذا تهافت !!

الرابع

عند المالكية يستحب السدل ، قال ابن عاشر في مستحبات
الصلاة : سدل يد تكبيره مع الشروع .

ولم يذكر السدل في أحاديث صفة الصلاة ، مع ان المستحب
هو ما طلبه الشارع طلبا غير جازم ، وليس في الاحاديث
طلب السدل ، وانما فيها سكوت عنه وعن القبض ،

فاخذوا من عدم ذكره استحبابه ، اى اخذوا من عدم امر
وجوديا ، وهو باطل ، لان عدم لا يكون علة لامر
وجودي .

قالوا : الاصل هو السدل ، وهذا باطل أيضا ، لان
الاصل لا يدل على الاستحباب لأنه ليس بأمر ولا طلب
فيه ، ونعارضهم بأن الاصل فى الصلاة هو القبض ، لانه
ورد التصريح بطلبه فى عدة أحاديث ، ولانه تحقيق لمعنى
قوله تعالى (وقوموا لله قانتين) أى خاشعين ، والقبض علامة
على الخشوع ، والسدل ليس كذلك .

ولان من رأى القابض ، يعلم انه يصلى ، والسدل
ليس كذلك ، ولان السادل يعبث بلحيته او أنفه او يحث
جسده ، والقابض ليس كذلك ،

الخامس

القاعدة المقررة فى الاصول : ان المطلق يحمل على
المقيد فيقيد به ، وعلى هذا فأحاديث صفة الصلاة التي
لم تذكر القبض ، هي مطلقة ، فتقيد بالاحاديث التي ذكر
فيها القبض ، فتكون الاحاديث منسجمة بعضها مع بعض ،
لا تعارض بينها ، ولا دلالة فيها على السدل اطلاقا .
هذا هو الاستدلال المبني على القواعد الاصولية .
لا قولهم المبني على قواعد سطحية .

الدعوى الثالثة

السدل ناسخ للقبض ، وهى باطلة من وجوه :

الاول

ان القبض سنة وفضيلة ، والفضائل لا تنسخ ، كما قال ابن عبد البر وغيره ، وقد بينت فى غير هذا الموضع :

أن الذى ينسخ من الاحكام ثلاثة :

الواجب والحرام والمباح ، أما المندوب فلا ينسخ لانه فضيلة والمكروه تابع له ، وهذا مما يجهله كثير ممن لم يتقن علم الاصول .

الثاني

ان النسخ معناه رفع الحكم بعد ثبوته ، والذى يرفع الحكم هو الشارع ، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، كنت نهيتكم من أجل الدافة فكلوا وادخروا ، ومثل منعه زيارة النساء للقبور ، ثم أذنه لعائشة بزيارتها ، ولا يثبت النسخ باجتهاد صحابى ، فضلا عن هو دونه ، كما هو مقرر فى علم الاصول .

وفى ارشاد الفحول: قال الصيرفى لا يقع النسخ الا بدليل توقيفى اه أى عن الشارع

وقال الشاطبى فى الموافقات : والاحكام اذا اثبتت على المكلف ، فادعاء النسخ فيها لا يكون الا بأمر محقق ، لان ثبوتها على المكلف أو لا محقق ، فرفعها بعد العلم بثبوتها لا يكون الا بمعلوم محقق اه

الثالث

ان الذين ادعوا نسخ القبض ، بنوا دعواهم على مقدمة فاسدة ، ذلك أنهم ظنوا ان حديث صفة الصلاة حيث لم يتعرض لذكر القبض ، صار معارضا لاحاديث القبض ، وضموا الى هذا ان السدل هو الاصل ، فانتج لهم ذلك ان السدل ناسخ للقبض ، فجاءت دعواهم فاسدة ، مبنية على مقدمة فاسدة ، وهذا غاية الخذلان والعياذ بالله تعالى .

قال الامام ابن دقيق العين لا يجوز اثبات النسخ بالاحتمال وكذا قال الحافظ ابن حجر ، وهذا أمر مجمع عليه لكن الذين ادعوا النسخ لا يعلمون .

وقال ابن تيمية في فتاواه : وما ثبت من الاحكام بالكتاب والسنة ، لا يجوز دعوى نسخه بأمور محتملة اهـ

وقال ابن القيم في كتاب الصلاة واحكام تاركها :

وقد اتخذ كثير من الناس دعوى النسخ والاجماع سلما الى ابطال كثير من السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ليس بهين ، ولا تترك لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة صحيحة أبدا بدعوى الاجماع ، ولا دعوى النسخ ، الى ان يوجد ناسخ صحيح صريح متأخر نقلته الائمة وحفظته ، اذ محال ، على الامة ان تضع الناسخ الذي يلزمها حفظه ، وتحفظ المنسوخ الذي قد بطل العمل به ولم يبق من الدين اهـ

وقال بعض العلماء الفضلاء :

القبض والرفع مما صح من سنن
عن الرسول بلا نسخ ولا وهن
فلا تكن يا صحيح العقل متبعا
آثار اشياء لم تخلق ولم تكن

الدعوى الرابعة

السدل عمل أهل المدينة ، وهي باطله ايضا من وجوه

الاول

ان هذا العمل لم ينقله أحد ممن تخصص في نقل مذاهب
الائمة ، مثل الترمذى وابن المنذر وابن جرير الطبرى وابن
حزم وابن قدامة المقدسى والنووى ، وانما نقله الصاوى
فى حاشية اقرب المسالك عن مجهول ولم يعتمد عليه لانه
حكاه بصيغة التضعيف ، وهي وقيل .

الثانى

ان عمل اهل المدينة انذى هو حجة عند المالكية ، اجماعهم
ولم ينقل السدل بسند صحيح الا عن سعيد بن المسيب
فأين اجماعهم ؟

الثالث

أن المنقول عن الخلفاء الاربعة فمن بعدهم من الصحابة
والتابعين وتابعي التابعين بالمدينة الى عهد مالك ، هو
القبض ماعدا سعيد بن المسيب كما سبق .

الرابع

ان المسائل التي عمل فيها مالك بعمل أهل المدينة عددهم
تسمون مسألة ، ليس فيها مسألة السدل ولولا خوف الاطالة
والاملال ، لذكرتها بتمامها ، وقد ذكرها صديقنا العلامة
السيد محمد علوي المالكي في كتابه فضل الموطأ .

الخامس

قال العلامة السنوسي في كتابه ايقاظ الوسنان : وقد
لهج المتأخرون من المالكية بترجيح القول والرواية بمجرد
وجودهما في المدونة ولو خالف الكتاب وانسنة الصحيحة
المجمع على صحتها كما في مسألة سدل اليدين في الصلاة
وردوا الاحاديث السالمة من المعارضة والنسخ وتركوها
لاجل رواية ابن القاسم في المدونة عن مالك ، مع أن رواية
القبض ثابتة عن مالك وأصحابه برواية ثقات اصحابه
وغيرهم اهـ

السادس

ترجيح متأخرى المالكية لرواية ابن القاسم في السدل ،
على رواية اصحاب مالك عنه سنية القبض ، مخالف لما
تقرر في علم الاصول والحديث ، فان القاعدة المقررة ، أن
الثقة اذا روى ما يخالف رواية أوثق منه او اكثر عددا ،
كانت روايته شاذة ضعيفة ، فرواية ابن القاسم بحكم هذه
القاعدة ، مردودة .

قال ابن عبد البر : وروى أشهب عن مالك : لا بأس

بالقبض فى النافلة والفريضة ، وكذا قال أصحاب مالك
 المدنيون وروى مطرف وابن الماجشون ان مالكا
 استحسنه ، وقال أيضا : لم يأت فيه عن النبى صلى الله عليه
 وسلم خلاف ، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين ، وهو
 الذى ذكره مالك فى الموطأ ، ولم يحك ابن المنذر وغيره عن
 مالك غيره اه فآين عمل أهل المدينة ؟!

الدعوى الخامسة

تضعيف حديث الصحيحين فى القبض ، وهى باطلة جدا
 أما أولا : فان الطعن فى حديث الصحيحين ، خرق
 للاجماع ، وخرق الاجماع حرام ، يعصى فاعله ومركبه .
 قال الامام النووى فى شرح مسلم : اتفق العلماء على أن
 أصح الكتب بعد القرآن العزيز ، الصحيحان للبخارى ومسلم ،
 وتلقتهما الامة بالقبول اه

ومثله فى اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب
 الجحيم لابن تيمية ، وعمدة القارى فى شرح البخارى للعيني
 وارشاد السارى فى شرح البخارى للقسطلانى وقال
 الحافظ العراقى فى الالفية :

وارفع الصحيح مرويهما
 ثم البخارى فمسلم فما
 شرطهما حوى فشرط الجعفى
 فمسلم فشرط غير يكفى

وأما ثانيا : فان تضعيف حديث القبض فى البخارى ،
 تضعيف للموطأ ، لان البخارى روى الحديث من طريق مالك ،

وهو فى الموطأ ، وكتاب الموطأ عظيم القدر ، تلقته الامة بالقبول ، قال الامام انشافى : ما على ظهر الارض كتاب بعد كتاب الله ، أكثر صوابا من كتاب مالك .

وقال القاضى عياض : لم يعتن العلماء مثل اعتنائهم بكتاب الموطأ ، وذكر مما كتب عليه نحو تسعين كتابا .

فتضعيف حديث رواه مالك والبخارى ، وقاحة كبيرة مع كونها خرقا للاجماع .

واما ثالثا فان الامام النووى قال فى شرح البخارى ما ضعف من حديث الصحيحين مبني على علل ليست بقادحة اه .

واما رابعا : فان لفظ حديث سهل بن سعد فى البخارى والموطأ : كان الناس يؤمرون ان يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى فى الصلاة ، قال أبو حازم : لا اعلمه الا ينمى ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم اه

قال العافظ : هذا حكمه الرفع ، لانه محمول على ان الامر هو النبي صلى الله عليه وسلم

واعترض الدانى فى اطراف الموطأ فقال : هذا معلول ، لانه ظن من أبى حازم ورد بأن ابا حازم لو لم يقل : لا اعلمه الى اخره ، لكان فى حكم المرفوع ، لان قول الصحابي : كنا نؤمر بكذا ، يصرف بظاهره الى من له الامر وهو النبي صلى الله عليه وسلم ، لان الصحابي فى مقام تعريف الشرع ، فيحمل على من صدر عنه الشرع ، ومثله قول عائشة : كنا نؤمر بقضاء الصوم ، فانه محمول

على أن الأمر بذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم ، واطلق البيهقي : أنه لا خلاف في ذلك بين أهل النقل ، وقد ورد في سنن أبي داود والنسائي وصحيح ابن السكن شيء يستأنس به على تعيين الأمر والأمور ، فروى عن ابن مسعود قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم واضع يدي اليسرى على اليمنى فنزعها ووضع اليمنى على اليسرى ، قيل لو كان مرفوعا ، ما احتاج أبو حازم إلى قوله : لا أعلم الخ ، والجواب : أنه أراد الانتقال إلى التصريح ، فالأول لا يقال له مرفوع ، وإنما يقال له حكم الرفع اه كلام الحافظ ابن حجر . قلت : تعليل الدانسي للحديث بأنه موقوف غفلة منه ، لأن قواعد مالك التي بنى عليها مذهبه : أن قول الصحابي حجة ، وهو مذهب أبي حنيفة أيضا . فالحجة بقول سهل بن سعد ، ثابتة على الاحتمالين ،

وأما خامسا : ففي صحيح مسلم عن زائل بن حجر : أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل في الصلاة كبر ثم اتحنف يشوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى الحديث ، ضعفه الخضر الشنقيطي وهو أشد المتعصبين للسدد تمننا ، بأن العلماء ذكروا أن في صحيح مسلم أربعة عشر حديثا فلعل هذا الحديث منها

قلت : هذا تضعيف بالترجي ، ولم يصح ترجيه من جهة أن تلك الأحاديث أجاب عنها الحفاظ وبينوا اتصالها وسلامتها من الانقطاع ومن جهة أن الإمام النووي وأسيوطي وغيرهما عدوا تلك الأحاديث واحدا واحدا وليس فيها حديث وائل المذكور ، ومن جهة أن ابن خزيمة روى في صحيحه

من غير طريق مسلم عن وائل بن حجر ، قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده اليمنى على يده اليسرى على صدره ، فذهب تضعيفه هباء منثورا

الدعوى السادسة

ذكر صاحب الرحلة المراكشية حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه «كأنى أنظر الى احبار بني اسرائيل واضع ايمانهم على شمالكهم في الصلاة وادعى أنه ذم للقبض بكونه من فعل بني اسرائيل ، قلت : هذا الحديث رواه ابن ابي شيبة في المصنف قال : حدثنا وكيع عن يوسف بن ميمون عن الحسن مرسلا . فهو حديث ضعيف ، ورده بما ذكر وقاحة شديدة لاسيما من شخص يدعى نصره السنة ويدعو الى العمل بها . فانحديث المذكور بيان لاتفاق شرائع الانبياء في القبض ، روى ابن ابي شيبة عن ابي الدرداء قال : من اخلاق النبيين وضع اليمنى على الشمال في الصلاة ، واحبار بني اسرائيل اتباع موسى ومن بعده من الانبياء .

وذكر القرطبي وغيره أنه اذا بلغنا شرع من قبلنا على لسان الرسول أو لسان من ائلم كعبد الله بن سلام ، ولم يكن منسوخا ولا مخصصا ، فهو شرع لنا ، وهو المقرر عند المالكية .

الدعوى السابعة

روى مالك عن عبد الكريم بن ابي المخارق البصري أنه قال : من كلام النبوة اذا لم تستحيي فافعل ما شئت ،

ووضع اليدين احدهما على الاخرى، وتمجيل الفطر والاستيناء بالسحور قالوا هذا الاثر ضعيف، وعبد الكريم بن ابي المغارق مشرّك، قلت : ثبتت شواهد تقويه وتؤيد معناه .

ففى صحيح البخارى عن ابي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذ لم تستحي فاصنع ما شئت»

وروى الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (انا معاشر الانبياء امرنا بتعجيل فطرنا وتأخير سحورنا وان نضع ايماننا على شمائلنا فى الصلاة» وروى الطبراني عن ابي السدرءا وابن عبد انبر عن ابي هريرة رفعه «ثلاث من اخلاق النبوة تعجيل الافطار وتأخير السحور ووضع اليمين على الشمائل فى الصلاة» ورواه سعيد بن منصور عن عائشة، وروى الطبراني عن يعلى بن مرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ثلاث يحبها الله عز وجل تعجيل الافطار وتأخير السحور وضرب اليدين احدهما على الاخرى فى الصلاة»

الدعوى الثامنة

ان السادل يشبه الميت وهو اقوى فى تحقيق الخشوع . وهذه حكمة ميتة ، لا رواج لها فى الميدان العلمى ، واليكم حكمة مشروعية القبض ، على لسان العلماء، قال القاضى أبو بكر بن السمربى فى شرح الترمذى : والحكمة فيه - اى القبض - عند علماء الممانى : الوقوف بهيئة الذلة

والاستكانة بين يدي رب العزة ذي الجلال والاكرام كأنه اذا جمع يديه يقول : لا دفع ولا منع ولا حول ادعى ولا قوة ، وها أنا في موقف الذلة فأسبغ على فائض الرحمة اه

وقال الامام الرازي في تفسير قوله تعالى (فصل لربك وانحر) روى عن علي بن أبي طالب : انه فسر هذا التحرر بوضع اليدين على النحر في الصلاة ، وقال : رفع اليدين قبل الصلاة عادة المستجير المائذ ، ووضعهما على النحر ، عادة الخاضع الخاشع ، قلت : روى ابن أبي شيبة والبخاري في التاريخ والحاكم والبيهقي في السنن عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى (فصل لربك وانحر) قال : وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ثم وضعهما على صدره في الصلاة .

وقال الزرقاني في شرح الموطأ : قال العلماء : الحكمة في هذه الهيئة أنها صفة السائل الذليل ، وهو امنع من العبث واقترب الى الخشوع ، ومن اللطائف قول بعضهم : القلب موضع النية والعادة أن من حرص على حفظ شيء جعل يديه عليه اه وهو عند الحافظ في فتح الباري ، ونختم هذا الجزء بمسائل :

الاولى

قال العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر : أحاديث وضع اليدين احدهما على الاخرى في الصلاة ، عن سهل بن سعد الساعدي ووائل ابن حجر الحضرمي وعبد الله بن مسعود

وعلي بن أبي طالب وهلب الطائي وابن الزبير وأبي هريرة
 وجابر بن عبد الله والحارث بن غطفان الثمالي ويقال أنه
 غضيف بن الحارث بالاضاد المعجمة وعمرو بن حريث المخزومي
 ويعلى بن مرة الثقفي وعبد الله بن عمر وأبي الدرداء وحذيفة
 وعائشة وابن عباس وأنس وشداد بن شرحبيل ومعد
 بن جبل وسفيان الثوري عن غير واحد من الصحابة ، ومرسل
 أبي أمية عبد الكريم بن أبي المخارق وطاوس والحسن
 البصري وعطاء بن أبي رباح وإبراهيم اهـ

وكذا نص الحافظ السيوطي على تواتر أحاديث القبض .
 وقال الخضر انشنيطي المتعنت : والمدعي عندنا هو النسخ ،
 لا أنه غير مرفوع ، لأنه وارد من طرق عديدة يحصل
 من مجموعها العلم برفعه اهـ وهذا اعتراف منه بتواتر حديث
 القبض ، لان حديث الاحاد لا يفيد العلم ، ثم ناقض نفسه
 فقال : مع أنا معاصر المالكية لا نقول ان القبض لم يتبت
 عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بل نعترف بأنه ثبت
 عنه عليه الصلاة والسلام لكثرة رواته عنه صلى الله عليه
 وسلم وان كانت ضعيفة ، ولكننا نقول انه منسوخ بالارسال
 فكيف يقول : يحصل العلم من مجموعها برفعه ، ثم يقول :
 وان كانت ضعيفة ؟ هذا تناقض ، والمبطل يتناقض .
 ثم قال أيضا : ان هذا النسخ ليس المراد به النسخ
 المتعارف عند أهل الاصول الذي هو الخطاب الدال على
 ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه
 لكان ثابتاً مع تراخيه عنه اهـ وانما المراد به نسخ الاجتهاد
 وهو عبارة عن تضعيف المجتهد ما عارضه عنده معارض قوى

في اجتهاده وان كان المضع عنده صحيحا في نفسه اه
وهذا النسخ الاجتهادى باطل أيضا ، لانه مبني على ان
حديث صفة الصلاة الخالي عن ذكر القبض ، معارضا
للاحاديث المرحاة بالقبض وهذا فهم باطل ، لانه ليس بين
الحديثين تعارض ، بل هما من قبيل المطلق والمقيد ،
كما مر بيانه .

الثانية

قال القاضي عبد الرهاب : رواية ابن القاسم عن مالك
في التفرقة بين الفريضة والنافلة في وضع اليمنى على
اليسرى ، غير صحيحة ، لان وضع اليمنى على اليسرى
انما اختلف هل هو من هيأت الصلاة أولا ؟ وليس فيه
اعتماد فيفرق فيه بين الفريضة والنافلة اه نقله
الباجي عنه

ورواية ابن القاسم ، عليها اعتمد من ادعى النسخ
الاجتهادى وغيره ، وقد تبين أنها غير صحيحة ، فما بني
عليها غير صحيح بالضرورة ، وبالله التوفيق .

الثالثة

سبق ذكر دعواهم ان السدل هو الاصل ، وبيننا بطلانه
فيما مر ، ونبين بطلانه هنا بطريق آخر ، فنقول : الاصل
عدم التكليف اطلاقا ، ثم جاءت الشريعة بالتكاليف النافلة
عن الاصل . وبني العلماء على ذلك انه اذا تعارض
خبران أحدهما مقرر للاصل ، والاخر ناقل عنه ، يرجح

الناقل ، قال الشوكانى فى ارشاد الفحول ، فى الترجيح بحسب المدلول ! وهو أنواع : النوع الاول : انه يقدم ما كان مقررا للاصل والبراءة على ما كان ناقلا ، وقيل العكس ، واليه ذهب الجمهور ، واختار الاول الفخر الرازى والبيضاوى والحق ما ذهب اليه الجمهور اه وكذا فى جمع الجوامع ، قال المحلى : لان فيه زيادة على الاصل ، وقال ابن عرفة ، قول ابن الحاجب : تقدم الناقلة على المستحبة هو قول مالك فى المدونة اه

وقال ابن القيم : لان احكام الشرع ناقلة عما كانوا عليه اه فلو فرض ان حديث صفة الصلاة ، مقرر للسدل الذى هو الاصل ، وجب تقديم حديث القبض عليه لانه ناقل عنه ، ومن جهة اخرى : لو اعتبرنا حديث صفة الصلاة الساكت عن القبض نافيا له كان الحديث المصرح بالقبض مثبتا له والمثبت مقدم على النافى كما تقرر فى علم الاصول .

الرابعة

قال القادرى فى ترجيح السدل : ان القبض قد قيل بحرمته ، بخلاف السدل ، وهذا غش وتدليس ، لجأ اليه لعلمه بانه مبطل ، والا فهو يعلم ان احدا من اهل السنة لم يقل بذلك وانما قاله الروافض الامامية ، وهى فئة ضالة كما هو معلوم واستدلوا فيما قالوه الى حديث موضوع ، ذكره القاضى النعمان الشيعى فى كتاب دعائم الاسلام ، جاء فيه : لا تكفروا فى الصلاة كتكفير اليهود ، وحملوها على القبض ، وهذا خطأ منهم فى فهم

ما استدلووا به، لان التكفير معناه : انحناء الانسان
 ويطاطيء رأسه قريبا من الركوع، وفي الحديث : لما ذهب
 عمرو بن أمية الى النجاشي رأى الحبشة يدخلون عليه من
 خوخة مكفرين أى راكعين ، فولى ظهره ودخل ، ونعوذ بالله
 من معاربة السنة الى هذا الحد المقنوت ، ونقول فى نقيض
 ذلك : أن الشوكاني قال فى نيل الاوطار بـرجوب
 القبض واحتج له بأدلة قوية أصولية ، ويراجع كلامه
 فى ص 410 ج 2 طبعة الحلبي الاخيرة ، فالسدل على هذا
 القول، حرام لانه ترك للموجب ، بل ربما يكون مبطلا للصلاة ،
 وبالله التوفيق .

الخامسة

الائمة الذين اعتبروا القبض من سنن الصلاة وهيأتها
 استنادا الى الاحاديث المتواترة ، وهم ابو حنيفة والشافعى
 وأحمد بن حنبل شيخ الحفاظ والثورى والطبرى وابن حزم
 وابن عبد البر وابن العربى وغيرهم كثير ، هل كان
 هؤلاء كلهم لا يعرفون ما فى أحاديث القبض من ضعف
 مزعوم ، ونسخ موهوم ، حتى جاء الخضر الشنقيطى ،
 فعرف ما لم يعرفوه ، وبين ما جهلوه ، مع انه ليس من
 أهل الحديث فى قبيل ولا دبير ، قالى الله المشتكى ،
 واليه المصير .

السادسة

نقول لهؤلاء المقلدة الذين جدوا فى نصره السدل ، وجهدوا
 فى الدفاع عنه ، حتى خرجوا الى حد التعنت المذموم :
 أريحوا انفسكم ، فكلامكم غير مسموع ، وهذركم غير

مقبول، لسبب واضح وان خفي عليكم : انكم مقلدة ،
ووظيفة المقلد أخذ قول امامه ، وليس له ان يستدل
ويحاجج ويرجح ويضعف ، هذه وظيفة المجتهد ، فان فعلها
المقلد مثلكم ، كان غاصبا لمنصب المجتهد .

والمقرر في آداب البحث والمناظرة - وهو علم الجدل -
ان الناصب لا يسمع قوله ، فكلامكم ايها المقلدة مرفوض
جملة وتفصيلا .

السابعة

قال الشيخ عlish في شرح مختصر خليل ، ممزوج
كلامه مع المتن : وهل كراهته اى القبض فى الفرض
لقصد الاعتماد اى الاستناد به ، وهذا تأويل عبد الوهاب
وهو المعتمد ، فلو فعله للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم
او لم يقصد شيئا ، فلا يكره ، ويجوز فى النفل مطلقا
لجواز الاعتماد فيه بلا عذر اه فصرح باستحباب القبض اذا
لم يقصد به الاعتماد ، ثم انتكس فى فتاويه فصرح بكراهته
القبض ، وانتصر للسدل ببعض الدعاوى التى مر بطلانها ،
وهذا منه موقف مزرى ، لا يليق بأهل الانصاف . وأخبرنى
أخي ابو الفيض رحمه الله عن سبب هذا الموقف منه :
أنه كراهية العلامة الامام السيد محمد بن علي السنوسى
الذى اظهر فى جفوب وطرابلس الدعوة الى السنة ، مع
نشر الطريقة فتحول الناس اليه ، وانصرفوا عن عائلة
Elish التى كانت مشهورة هناك بالتصوف ، وانقطع ما كان
يأتيه من تحف وهدايا ، فانتصاره لم يكن لله ، سامحه الله .
توفي السيد السنوسي سنة 1276 ، والشيخ Elish سنة 1301

الثامنة

اخبرنى اخى ايضا ان بعض المغاربة المتعصبين للسدل ،
احتج لكراهة القبض بقول الله تعالى فى صفة المنافقين
(ويقبضون أيديهم) وهذا استدلال طريف ، يصح ان
يذكر فى أخبار المغفلين ، ومرة اخرى قال لبعض المغاربة :
السدل لم يكن معروفا عند السلف ، ولا ورد عنهم ، فكيف
تقولون باستحبابه ؟ فرد عليه بحماس بل فى سنن أبى
داود : حديث نهى عن السدل ، فقال له أخى : فهو
حجة عليك ، لكن السدل هنا معناه سدل الثوب . وأما
السدل الذى هو خلاف القبض ، فاسمه عندهم : الارسـال
أو ارسال الـيدين . والحاصل ان المغاربة عشقوا السدل ،
وهاموا به حتى قال قائل متهم : لو قال لى النبي
أقبض لا أقبض ، هذا وهو يصلي ، وقد ، حج ويعمل
اعمالا خيرية ولكنه الخذلان نسأل الله السلامة والعافية .
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

تم تحريرها فى الخامس من شهر رمضان المعظم سنة 1407 هـ